﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٣١﴾ [الجاثية: 30 - 31]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

تفصيلُ المجمل في بيان حالِ المؤمنين والكافرين بعد عرض الأعمال

لمّا صرَّح بالمبطلين حسب ما اقتضاه الحال - كما تقدَّم - وأشار إلى المحقِّين؛ صرَّح بما لوَّح إليه من أمر المحقِّين، وعطف عليهم أضدادَهم، فقال بادئًا بهم على طريق النَّشرِ المشوَّش مفصِّلًا لما يكون إليه مآل الفريقين: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ الآيتين[1]، وأيضًا لمّا أجمل ما يكون إليه حال المؤمنين والكافرين في قوله: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، وبيَّن أنَّ أعمال الفريقين مثبَّتة في الكتاب بما ينطوي عليه من الوعد والوعيد؛ فصَّل هذا المجمل، فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ الآيتين[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَيُدۡخِلُهُمۡ﴾: أصلُ (دخل) يدلُّ على الوُلوجِ والنُّفوذ في الشَّيءِ، يُقالُ: ولَجَ البيتَ، ووَلَجَ فيه، أي: دَخَلَه، وضدُّه: الخُروج، ويأتي الدُّخولُ بمعنى الابتداءِ، تقولُ: دَخَلَ في الأمْرِ؛ إذا بدأ، وأخَذَ فيه، وداخِلُ كُلِّ شيءٍ: باطِنُه، ومنه داخِلَةُ الرَّجُل، أي: بطانتُه، والمَدْخَلُ: مكانُ الدُّخول، ومن معاني الدُّخول في اللُّغة أيضًا: الورودُ والاختِلاطُ والاقتِحامُ، والمقصود بالدُّخول في الآية: نَقيضُ الخُروجِ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 106 - 107.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 75.

2) ﴿رَحۡمَتِهِۦۚ﴾: أصلُ (رحم) يدلُّ على الرِّقَّةِ والعطفِ والرَّأفة، يُقالُ مِن ذلك: رَحِمَهُ يَرْحَمُهُ؛ إذا رَقَّ له، وتَعطَّفَ عليه[1]، والرَّحْمَةُ: اسمٌ مَصدَرٍ لِصِفَةِ الرّاحِمِ، وهيَ مِن صِفاتِ الإنسانِ، فهي رِقَّةٌ في النَّفْس تبعثُ على سَوْقِ الخير لمن تتعدَّى إليه[2]، وإذا وُصِف به الباري ﷻ؛ فليس يراد به إلّا الإحسان المجرَّد دون الرِّقَّة، وعلى هذا روي أنَّ الرَّحمة من اللّه إنعامٌ وإفضالٌ، ومِن الآدميِّين رِقَّةٌ وتَعطُّفٌ[3]، والرَّحمَةُ أيضًا: القرآن[4]، والمَغفِرَةُ[5]، والنُّبوَّة[6]، والمراد بالرَّحمة في الآية: الجنَّة، وهو لفظٌ شاملٌ لِما تَتصوَّرُه النَّفْس من أنواع الكرامةِ والنَّعيم؛ إذ جُعِلَتْ رحمةُ اللّه سبحانه بمنزلة المكانِ يدخُلونَهُ[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

في الآخرة تنكشف الحقائق، وتنجلي الأمور، فإمّا رحمة، وإمّا عذاب

ذكَر اللّه تعالى حالَ الطّائفتينِ مِن المؤمنينَ والكافِرينَ، وقرَن بينَهم في الذِّكرِ؛ ليَبينَ الأمرُ في نفسِ السّامعِ؛ فإنَّ الأشياءَ تتبيَّنُ بذكرِ أضدادِها، فقال سبحانه: فأمّا الَّذين آمنت قلوبهم، وعملت جوارحهم الأعمال الصّالحة الموافقة للشَّرع، فيُدخلهم ربُّهم في رحمته، وهي الجنَّة، كما ثبت في الصَّحيح أنَّ اللّه تعالى قال للجنَّة: «أنتِ رَحمَتي أرحَمُ بِكِ مَن أشاءُ مِن عِبادي»[8]، ذلك الجزاء، وهو الإدخال في الجنَّة هو الفوز الظّاهر؛ لكونه فوزًا لا فوز وراءه، وأمّا الَّذين كَفَروا باللّهِ؛ فيَقولُ اللّهُ سبحانه لهم تَقْريعًا وتَوبيخًا: ألم تكُن آياتُ القرآنِ تُتلَى عليكم في الدُّنيا، فاستكبَرتُم عن الإيمانِ بها

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رحم).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 24.
(3) الرّاغب، المفردات: (رحم).
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/ 358، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/ 75.
(5) ابن منظور، لسان العرب: (رحم).
(6) الشّهاب، عناية القاضي: 5/ 90، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 15/ 173.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 371.
(8) رواه أبو هريرة، صحيح البخاري، رقم الحديث: (4569).

واتِّباعِها، وأعرَضتُم عن سَماعِها وقَبولِها، وكنتُم قَومًا مُتَّصِفينَ بالإجرامِ في أفعالِكم، فتَكتَسِبونَ الآثامَ، مَعَ ما اشتَمَلت عليه قلوبُكم مِن التَّكذيبِ.(1)

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

نوع الفاء ودلالتها:

الفاء في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هي لتفصيل الإجمال في قوله: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، فإنَّ الإجمال مضمَّن في قولِه: ﴿كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾، كما أنَّه لمّا قال: ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾؛ فهُم منه أنَّ العاملين فرقتان مؤمن وكافر، وأفاد التَّعبير بالفاء أنَّ الأمرَ لا يتوقَّف عند الحساب، بل يفرَّق بين المؤمنين والكافرين بعد الحساب، فلكلٍّ موضعه ومكانه الخاصُّ به، ففصَّل مآل حالِ الفريقين، وبيَّنه عن طريق الفاء.

لكلِّ فريق من المؤمنين والكافرين موضعه ومكانه الخاصُّ به بعد الحساب

بلاغةُ الشَّرط والتَّفصيل لما سبق:

(أمّا) فيها معنى الشَّرط والتَّفصيل؛ فهي أداة رابطة لِما قبلها بتفصيل إجمالٍ، ورد في كلام قبلها، وهي شرطيَّة، فتقتضي شرطًا وجزاءً فيما بعدها، وفيها معنى التَّحقيق والتَّأكيد، بمعنى تحقُّق وقوع الجزاء وتأكيده، فإنَّهم لمّا قدَّروها بمعنى: مهما يكن من شيء، أفاد أنَّ الجزاء يتحقَّق بوقوع أيِّ شيء، ولاشكَّ أنَّ شيئًا ما سيقع، فدلَّ على تأكيد وقوع الجزاء، ولمّا جاءت الأداة في قولِه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وكانت الفاء لتفصيل إجمال؛ جاءت (أمّا)؛ لبيان هذا التَّفصيل، واقتضت تكرارًا وعطفًا في قولِه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ لبيان أنَّه لا يوجد إلّا فريقان، فلا ثالث لهما.

لا يوجد يوم القيامة بعد الحساب إلّا فريقان، أهل الإيمان وأهل الكفر

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 106 - 107، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 89، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 272، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 778.

علّة البدءِ بذكر المؤمنين مع حديث السّياق عن الكافرين:

بشارة المؤمنين بالخلاص والنّجاة وتعجيل المسرَّة بإدخالِهم الجنّات

بدأ بذكر مآلِ الَّذين آمنوا، وعملوا الصّالحات، فلم ينتظر بهم، حتى يفصِّل في الكافرين المبطلين - مع أنَّ المقام للحديث عن المبطلين في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ - تنويهًا بالمؤمنين، وتعجيلًا لمسرَّتِهم، وتعجيلًا لمساءة المبطلين وخيبتِهم، فيرى المؤمنون وجه الخلاص والنَّجاة من أول الأمر، وبذلك تخلو نفوسهم من هواجس القلق، والفزع؛ لما يرون ممّا يحلُّ بالكافرين من بلاء[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالاسم الموصول دون الظاهر:

الإيمانُ والعمل الصّالح سببان في تحصيل الرَّحمة في الدّارين

عبَّر بالاسم الموصول وصلتِه في قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، دون أن يقال: (فأمّا المؤمنون)؛ للإيماء إلى وجه بناء الخبر وعلَّتِه، بمعنى: أنَّ إيمانهم وعملهم الصّالح هما السَّبب في دخولِهم في رحمتِه، وفي التَّعبير بالموصول وصلتِه تعظيم لشأنِ الإيمان والعمل الصّالح، كما أنَّ التَّعبير بصيغة الفعل الماضي في صلة الموصول يدلُّ على تحقُّق وقوع الإيمان والعمل الصّالح منهم، بمعنى أنَّهم آمنوا بجميع ما كان عليهم الإيمان به، وأنَّهم عملوا الصّالحات حقيقةً ويقينًا، ففيه بشارة لأهل الإيمان بالفوز والنَّجاة وتعجيل المسرَّة يوم القيامة.

نكتةُ حذفِ متعلّق الإيمان:

في قوله ﷻ: ﴿ءَامَنُواْ﴾ حُذِف متعلِّق الإيمان؛ للتَّعميم ليشمل كلَّ ما يدخل في معنى الإيمان، من إيمانٍ باللّه وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر.

دلالةُ عطف عمل الصّالحات على الإيمان:

عطف عمل الصالحات على الإيمان في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(1) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 13/ 254، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 370.

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ للإشعار باجتماع المعطوف والمعطوف عليه في علَّة الدُّخول في الرَّحمة، ففيه إيماء إلى أنَّ الدُّخول في رحمة الله لا يتحقَّق من دون اقتران الإيمان بالعمل الصّالح.

الدُّخول في رحمة الله لا يتحقَّق من دون اقتران الإيمان بالعمل الصّالح

معنى(ال) في ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وموقعها الإعرابيُّ:

تعريف الصّالحات هنا أفاد الاستغراق؛ ليشمل كلَّ عملٍ صالح، وجيء بها جمعًا رحمة بالعباد؛ لأنَّه لو قال: (عملًا صالحًا)؛ لكان مطلوبًا أن يكون كلُّ عمل الإنسان وصفه كذلك، وقوله: ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ هي صفة لموصوف محذوف تقديره: الأعمال الصّالحات.

جمع الأعمال الصّالحة فيه ترفُّق بالعباد

نوع الفاء في قوله: ﴿فَيُدۡخِلُهُمۡ﴾:

لمّا كانت الفاء تفيد التَّرتيب والتَّعقيب؛ أفاد العطف بها في قولِه: ﴿فَيُدۡخِلُهُمۡ﴾ أنَّ الإدخال في رحمة الله مرتَّبٌ على الحساب الَّذي يكون على وفق ما هو مكتوب في صحيفة الأعمال، كما أفادت الفاء إدخال الَّذين آمنوا، وعملوا الصّالحات في رحمتِه من غير مهلةٍ بعد الحساب، ومن يدخل في رحمة الله؛ لا يُعذَّب.

من يدخلُ في رحمة الله لا يُعذَّب

بلاغةُ استعمالِ مفردة الإدخال:

أوثر لفظُ الإدخال في قولِه: ﴿فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾؛ للإيماء إلى أنَّهم لا يدخلون في رحمتِه لولا إدخال ربِّهم لهم، وإذنِه لهم، وأنَّهم يدخلون في رحمتِه من غير توقُّفٍ؛ لأنَّهم يدخلون في رحمتِه بإدخال ربِّهم لهم، كما أشعرَ لفظ الإدخال بولوجِ المؤمنين في رحمتِه ونفوذِهم فيها وفي باطنِها، كما أفاد لفظ الإدخال بلازمِه أنَّ غيرَهم خارج عن رحمتِه.

لا توقُّف ولا مهلة في دخول المؤمنين في رحمة الله يوم القيامة

نكتةُ التَّعبير بعنوان الرُّبوبيَّة:

عبَّر بعنوان الرُّبوبيَّة في قوله: ﴿فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾؛ للإشعار بأنَّ إدخالَ المؤمنين في رحمتِه هو بإحسانِه، وأنَّه لولا تربيتُه لهم وإنعامُه عليهم؛ لَما دخلوا في رحمتِه.

لولا إحسانُ الله تعالى وفضله؛ لما أدخل المؤمنين في رحمتِه يوم القيامة

دلالةُ إضافةِ لفظ الرُّبوبيَّة إلى الضَّمير:

في قوله تعالى: ﴿رَبُّهُمْ﴾ أفادت إضافةُ لفظ الرُّبوبيَّة إلى الضَّمير العائد إلى الاسم الموصول بقيد صلتِه تشريفَ المؤمنين بربوبيَّته تعالى لهم وإحسانِه إليهم، والتَّقدير، فيدخلهم ربُّ الَّذين آمنوا، وعملوا الصّالحات؛ ليفيد أنَّهم في إيمانِهم وعملهم الصّالحات كانوا في دائرة إحسان الله تعالى إليهم وتربيته لهم، فلم ينفكّوا عن إحسان الله تعالى ورحمته لا في الدُّنيا ولا في الآخرة.

لم ينفكَّ المؤمنون عن إحسان الله وتربيتِه لهم في الدُّنيا والآخرة

بلاغةُ حرف الظَّرفيَّة:

لمّا أخبر الله تعالى أنَّه يُدخل المؤمنين ﴿فِي رَحْمَتِهِۦ﴾؛ أفاد أنَّ رحمته تعالى صارت ظرفًا لهم تعمُّهم، وتحيط بهم من كلِّ الجوانب، والمعنى: فأدخلناهم في رحمتنا، وفعلنا بهم من الإحسان ما يفعله الرّاحم بمَن يرحمُه على وجهٍ يعمُّهم من جميعِ جهاتِهم.

بلاغةُ المجاز المرسل لفظ ﴿رَحْمَتِهِۦ﴾:

لمّا كان المقصود من الدُّخول في رحمتِه هو الدُّخول في جنَّته؛ لأنَّ الدُّخول حقيقة هو في الجنَّة دون غيرها من أقسام الرَّحمة؛ كان التَّعبير بقولِه: ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ من باب تسمية الشَّيء باسم حالِّه، أي: لمّا كانت الجنة محلَّ رحمته تعالى؛ أطلق عليها الرَّحمة بطريق المجاز المرسل، والعلاقة محليَّة، ومناسبة التَّعبير بالمجاز المرسل الإشعار بأنَّه لولا رحمته تعالى؛ لَما دخلوا الجنَّة، فالجنَّة تنال برحمتِه، وأُعِدَّت لأهل رحمتِه، أو لأنَّها هي النِّهاية والغاية الَّتي تُطلب بالرَّحمة، وتُراد بها[1]، وعلى هذا فالظَّرفيَّة في قولِه: ﴿فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ حقيقيَّة، والمجاز المرسل في تسمية الجنَّة باسم الرَّحمة، أي: في تسمية المحلِّ باسم الحالِّ فيه، ويحتمل أن يكون المراد بالرَّحمة العموم الشّامل للجنَّة والثَّواب المخلَّد ورضوان

المؤمنُ وإن استغرق عمرَه في طاعة الله تعالى، فإنَّه لا يدخُل الجنَّةَ إلّا برحمته تعالى

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 9/ 233، وأبو حفص النّسفي، التّيسير في التّفسير: 13/ 365.

اللّه، والنَّظر إليه ﷻ، فيكون التَّعبير بالرَّحمة جمعًا بين الحقيقة والمجاز، فعبَّر بالرَّحمة الَّتي من جملتِها الجنَّة؛ بيانًا لعموم رحمتِه تعالى بالمؤمنين[1]، فناسب أن يكون ذلك هو الفوز المبين، وعلى هذا التَّوجيه تكون الظَّرفيَّة في قولِه: ﴿فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ مجازيَّة؛ لقصد المبالغة في إحاطة هذه المعاني بالمؤمنين.

دلالةُ إضافة الرَّحمة إلى الضَّمير:

أفادت إضافة الرَّحمة إلى الضَّمير العائد إلى لفظ الرُّبوبيَّة في قولِه: ﴿رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ أنَّ رحمته تعالى هي رحمة المحسن إليهم، كما أفادت الإضافة تخصيصَ هذه الرَّحمة وتعظيمَها.

بلاغةُ الإطناب في قوله: ﴿فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾:

في قوله: ﴿فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ عدل إلى الإطناب دون الإيجاز بأن يقال: (فيرحمهم ربُّهم)؛ لأنَّ في الإطناب بيانًا لا يحصل في غيرِه، فإنَّه بيَّن أنَّ مكان رحمتِه ليس هو مكان الحساب، فهو خارجُها، وأنَّهم يذهبون إلى موضع هو رحمةٌ ومحاط بالرَّحمة، وتتغشّاهم فيه الرَّحمة، فالتَّعبير شاملٌ؛ لِما تتصوَّره النَّفس من أنواع الكرامة بالدُّخول ونيل الرَّحمة والنَّعيم؛ إذ جُعِلَت رحمة اللّه بمنزلة المكان يدخلونه[2]، كما أفاد الإطناب أنَّهم إنَّما يكونون في رحمة ربِّهم بإدخاله لهم، فالفضل أوَّلًا وأخيرًا إليه تعالى.

موضعُ رحمةِ اللّه الَّذي يدخله المؤمنون هو مكان كرامة وتشريف وعزٍّ لهم

علَّة فصل: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾:

جاءت جملة: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ على طريق الفصل؛ لأنَّها استئناف بيانيٌّ، فكأنَّ سائلًا سأل هل إدخال المؤمنين في رحمة اللّه تعالى هو الفوز، وهو آخر المطاف؟ فأُجيب بقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾، أي: الفوز الَّذي لا فوزَ بعدَه.

إدخالُ اللّه المؤمنين في رحمته فوزٌ محض

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 109، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 441.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 371.

بلاغةُ استعمالِ اسم الإشارة للبعيد:

اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ يُشار به إلى المصدر المفهوم من الفعل ﴿فَيُدۡخِلُهُمۡ﴾، أي: ذلك الدُّخول في رحمتِه هو الفوز المبين، ويحتمل أن يكون مشارًا به إلى الإحسان العالي المنزلة[1] المفهوم من مضمون جملة: ﴿فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾، وعبَّر باسم الإشارة للبعيد؛ للإشارة على رفعتِه وعلوِّ منزلتِه، بحيث لاينالُه إلّا المؤمنون.

الدُّخول في رحمة الله لاينالُه إلّا المؤمنون

غرضُ استعمالِ ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾:

أُشير بضمير الفصل: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ إلى الشَّأن والقصَّة، بمعنى أنَّ دخول المؤمنين الجنَّة، ونيلهم المرتبة العالية، أمرٌ عظيم الشَّأن، كما أفاد ضمير الفصل تأكيدَ مضمون الجملة وتقريرَها، بمعنى تأكيد أنَّ ذلك الأمر هو الفوز المبين.

بلاغةُ القصر في جملة: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾:

في قوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ قصرٌ في الكلام من خلال تعريف طرفَي الإسناد، وبمجيء ضمير الفصل بين المبتدأ ﴿ذَٰلِكَ﴾ والخبر ﴿ٱلۡفَوۡزُ﴾، وفائدته تخصيص المسند إليه بالمسند على معنى حصر المسند بالمسند إليه ونفيه عن غيرِه، وتقدير الكلام: ذلك هو - وليس غيره - الفوز المبين، ومناسبة الفصل في الآية الرَّدُّ على منكري البعثِ الَّذين يظنّون أنَّ الفوز بما يجنونه في هذه الحياة الدُّنيا، فكلُّ نعيم الدُّنيا ليس هو بالفوز المبين، وفي القصرِ إيذانٌ بظهور الفوز ووضوحِه في دخول المؤمنين في الجنَّة، أو في إحسان اللّه تعالى للمؤمنين بإدخالِهم في رحمتِه.

لا يقدر الفوز إلّا بالدُّخول في رحمة الله

فائدة (ال) في ﴿ٱلۡفَوۡزُ﴾:

(الـ) في ﴿ٱلۡفَوۡزُ﴾ للجنس، بمعنى استغراق كلِّ أنواع الفوز، فيكون جنس الفوز وحقيقته في دخول الجنَّة.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 107.

نكتةُ التَّعبير بلفظ ﴿ٱلۡفَوۡزُ﴾:

لمّا كان الفوز هو الظَّفر بالخير مع حصول السَّلامة[1]؛ عبَّر بلفظ ﴿ٱلۡفَوۡزُ﴾؛ للإشارة إلى أنَّهم نالوا الظَّفر في الدُّخول في رحمة الله بما كانوا يؤمنون به، ويؤمِّلونه، ويرجونه من العمل، وأنَّهم سلموا من الخوفِ ومن العذاب، والفوز هو الفلاح الَّذي لا خوفَ بعدَه، فإنَّ من يدخل في رحمته تعالى يصرف عنه العذاب في ذلك اليوم.

من يدخل في رحمة الله تعالى؛ يُصرَفْ عنه العذابُ يوم القيامة

توجيهُ تخصيص وصف الفوز بالمبين:

في قولِه تعالى: ﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ جاء تخصيص الفوز بكونِه مبينًا دون أن يقال مثلًا: الفوز العظيم أو الكبير، والسَّبب هو أنَّه لمّا كان الكلام عن ما يكون إليه الحالُ بعدَ جثوِّ كلِّ أمَّة من الأمم يوم الحساب، وعن ما يكون إليه مآل الفريقين من المؤمنين والكافرين، بعد الحساب والنُّطق بالكتاب؛ ناسب التَّخصيص بالمبين؛ للإشعار بأنَّ فوز المؤمنين يوم القيامة يبين، ويظهر، فلا يخفى على أحدٍ من الأمم، ففيه تأنيس للمؤمنين وخيبة وخسران للكافرين، فلكلِّ كلمة في القرآن مع صاحبتِها مقامُها الخاصُّ بها.

فوزُ المؤمنين يوم القيامة يبين، ويظهر لجميع الأمم

دلالةُ عطفِ الضِّدِّ على ضدِّه:

جاء قولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بطريق الوصل بالواو، وهو من عطف الضِّدِّ على الضِّدِّ؛ ليكون الجامع بينهما هو الجامعَ الوهميَّ[2]، وإنَّما ذكر الشَّيءَ وما يضادُّه؛ للإشعار بأنَّه ليس إلّا هذان الفريقان يوم القيامة، كما أنَّه لمّا ذكر حال المؤمنين يوم القيامة؛ كان في ذكرِهم تشوُّقٌ لمعرفة حال الكافرين، فإنَّ الضِّدَّ أقربُ خطورًا بالبال مع الضِّدِّ.

ذِكرُ حال المؤمنين يوم القيامة فيه تشويقٌ لمعرفة حال من كفر بالله، وعصى، واستكبر

(1) الرّاغب، المفردات: (فوز).

(2) السّكاكي، مفتاح العلوم، ص: 254.

مناسبةُ التَّعبيرِ بالموصول وصلته: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾:

عبَّر بالموصول وصلتِه في قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾؛ لبيان وجه بناء الخبر وسببه، بمعنى: أنَّ كفرَهم هو سببُ توبيخِهم وتبكيتِهم حين يقال لهم: ﴿أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾، كما أنَّ في التَّعبير بالموصول وصلتِه تعريضًا بذمِّ الكفر والكافرين وإهانتِهم بسبب كفرِهم.

سببُ الاكتفاء بذكر الكفر دون الأعمال:

لم يعطف على الكفر الأعمال السَّيِّئة، كما جاء في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ إشعارًا بتهويل شأن الكفر وعظيم خطرِه، وأنَّه وحده كافٍ في دخول جهنَّم، كما أنَّه لمّا قال: ﴿فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾؛ أومأ إلى أعمالِهم السَّيِّئة والقبيحة، الَّتي كانت سببًا يُضاف إلى كفرِهم لتوبيخِهم وتبكيتِهم.

الكفرُ وحده كافٍ في دخول جهنَّم، فكيف إذا ضُمَّ إليه الأعمال السَّيِّئة

بلاغةُ حذفِ فعل القول للكافرين:

جواب (أمّا) في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ محذوف؛ لأنَّ في الكلام دليلًا عليه، فيُقدَّر من فحوى الكلام، والتَّقدير: وأمّا الَّذين كفروا؛ فيقال لهم: ألم تكن آياتي تُتلَى عَليكُم، ودلَّت الفاء في قوله: (أفلم) على الفاء المحذوفة في قولك، فيقال لهم، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ [آل عمران: 106][1]، ونكتة حذف (فيقال لهم) هو أنَّهم بلغوا من سوء الحالِ بعدَ ظهور الآيات أنَّ كلَّ من يراهم، ويعلم ماعملوا في الدُّنيا؛ يعلم أنَّه يقال لهم: ﴿أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾، وإنَّما كان الكلام على تقدير محذوف؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ إنَّما هو إخبار عن معاينةٍ للكافرين، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾

تعذيبُ الكافرين العذاب النَّفسي قبل الدُّخول إلى العذاب الحسّيِّ

(1) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 453، وابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 86.

خطاب ومشافهة، فلا يكون خطاب المشافهة جوابًا للإخبار عنهم، فاقتضى الكلام التَّقدير، فكأنَّه قال: وأمّا الَّذين كفروا في الدُّنيا؛ فيقال لهم اليوم[1]، وإنَّما انتقل إلى خطابِهم؛ لأنَّ التَّوبيخ والتَّبكيت على سبيل المخاطبة أشدُّ عليهم، فيزدادون حسرة وندامة قبل ولوجِ العذاب، ويحتمل أن يكون تقدير الكلام: (وأمّا الذين كفروا؛ فيقال لهم: ألم يأتِكم رسلي، أفلَم تَكُن آياتي تُتلى عَليكُم)، فحذف القول والمعطوف عليه؛ اكتفاء بالمقصود، وهو التَّسجيل عليهم بتلاوة آيات القرآن عليهم، واستغناء بالقرينة الدّالَّة على المحذوف[2]، ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الكلام لمّا كان حكاية لِما يقال لهم؛ فلا التفات فيه من الغيبة إلى الخطاب.

بلاغةُ الاستفهام وغرضه:

ورد الاستفهام المجازيُّ في قوله: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، وهو على معنى التَّقرير[3]، بمعنى تقريرهم على ما كانوا عليه في الحياة الدُّنيا من أنَّ آيات الله كانت تتلى عليهم، وأنَّ الدَّعوة بلغتهم بأتمِّ وجهٍ وأبينِه، فلم يكن منهم إلّا الاستكبارُ على الإيمان بالقرآن، والإيغالُ في الإجرام والفسقِ، ويتولَّد من الاستفهام التَّقريريِّ توبيخهم على استكبارِهم وإجرامِهم وتقريعهم عليه[4]، كما يفيد الاستفهام التَّقريريُّ التَّعجيبَ من استكبارِهم وإجرامِهم مع أنَّ آيات الله كانت تُتلى عليهم، ففيه إيماءٌ إلى أنَّه كان ينبغي أن تخضعوا لآيات الله، وتؤمنوا بها، وتعملوا صالحًا، لا أن تستكبروا، وتكونوا قومًا مجرمين.

التَّعجيبُ من استكبارِ الكافرين وإجرامِهم مع أنَّ آيات الله تُتلى عليهم

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 9/ 233.
(2) الزّمخشري، الكشّاف: 4/ 293، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 109.
(3) المنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد: 5/ 594.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 75، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 154.

سببُ إيثار تقريعهم وتوبيخهم قبل الأمر بإدخالِهم النّار:

المؤمنون يدخلون الجنَّة والكافرون بعد في الموقف معذَّبون بالتَّوبيخ

لمّا قال الله تعالى في حقِّ المؤمنين: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾، كان الظّاهر أن يخبر بما سيكون عليه حال الكافرين بأن يقال فيهم، وأمّا الذين كفروا؛ فيدخلون النّار، كما هو مقتضى المقابلة بـ(إمّا) التَّفصيليَّة، لكنَّه عدل إلى تقريرِهم وتوبيخِهم وتقريعِهم، قبل الأمر بإدخالِهم النّار، وفائدة هذا الأسلوب هو الدَّلالة على أنَّ المؤمنين يدخلون الجنَّة، والكافرون بعد في الموقف معذَّبون بالتَّوبيخ[1]، والتَّقريع والتَّسجيل على كفرِهم واستكبارِهم، ففيه المبالغة في تنديمهم وتقريعِهم قبل دخولهم النّار.

نكتةُ دخول فعل الكون:

أفاد دخول فعل الكون تقريرهم بتلاوة آيات الله تعالى عليهم

عُبِّر بتركيب: ﴿أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ دون أن يقال: (ألم تتلَ آياتي عليكم)؛ لأنَّ في تركيب النَّظم القرآنيِّ تقريرًا لاستمرار تلاوة آيات الله عليهم وتجدُّدها، بدلالة الفعل ﴿تَكُنۡ﴾، كما أنَّ في تركيب: ﴿ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ إخبارًا بالجملة الفعليَّة ﴿تُتۡلَىٰ﴾ عن المسند إليه ﴿ءَايَٰتِي﴾، وهو أثبت في تقوية الحكم وتقرير المعنى وتحقيقِه، فكأنَّه يؤكِّد تقريرهم بتلاوة آيات الله عليهم وإقامة الحجَّة عليهم في مقام التَّوبيخ.

دلالةُ إضافة آيات إلى الضَّمير:

في قولِه: ﴿ءَايَٰتِي﴾ أُضيف لفظ الآيات إلى الضَّمير العائد إلى الله تعالى، والمقام مقام سؤال وحساب ووعيد، ومناسبة الإضافة تعظيمُ هذه الآيات وتفخيمُها، وتفظيع الاستكبار عن الإيمان بها وعن مَن يتلوها عليهم.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 154.

نكتةُ بناء فعل ﴿تُتْلَىٰ﴾ للمفعول:

بناءُ الفعل للمفعول، هو للعلم بالفاعل ولدعوتهم لانشغال بالفعل نفسه

لمّا كانت هذه الآيات توجب الإيمان؛ لما لها من العظمة بمجرَّد تلاوتها؛ بني الفعل للمفعول في قوله: ﴿تُتْلَىٰ﴾؛ للإشعار بأنَّكم كنتم تستكبرون عليها، ولم تنتفعوا منها، وإن تلاها أيُّ تالٍ، فكيف إذا كان التّالي لآيات الله هو الرَّسول ﷺ[1]؟

فائدةُ التَّعبير بصيغة المضارع:

أوثر الفعل المضارع في قولِه: ﴿تُتْلَىٰ﴾؛ للإشارة إلى تكرُّر تلاوة آيات الله عليهم ممّا يتيح فهمها وتدبُّرها، ففيه إشارة إلى قيام الحجَّة عليهم والتَّسجيل عليهم باستحقاقِهم النّار.

بلاغةُ استعمال حرف الاستعلاء:

إقامةُ الحجَّة على الكافرين بتلاوة آيات الله عليهم

لمّا تعدَّى فعل التِّلاوة بحرف الاستعلاء في قوله: ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾؛ أفاد استيعاب تلاوة آيات الله لهم وإحاطتِها بهم في جميع أزمانِهم وأماكنهم، ففيه بيان لإقامة الحجَّة عليهم والتَّعجيب من استكبارِهم مع أنَّ آيات الله قد أحاطت بهم.

نوعُ الفاء ودلالتها في ﴿فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾:

الفاء للتَّرتيب والتَّعقيب، أي: تسبَّب عن تلاوة آيات الله الَّتي من شأنها إيراث الخشوع والإخبات والخضوع أن استكبرتم، ففيه تعجيب من استكبارِهم في موضعٍ ينبغي فيه أن يخضعوا، ويؤمنوا.

فائدةُ ذِكر الاستكبار دون التَّكذيب:

الاستكبارُ علَّةُ التَّكذيب وسببُ الكفر، وقد يلازم الكفرُ الاستكبارَ

عبَّر بالاستكبار دون التَّكذيب، فأخبر عن تحقُّق وقوع استكبارِهم، فقال: ﴿فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾، ولم يقل: (فكذبتم)؛ للإشارة إلى أنَّ الاستكبار هو علَّةُ التَّكذيبِ وسببُ الكفرِ، ويمكن أن يكون بالعكس بأن يقال: إنَّ فيه إشارة إلى أنَّ الكفر هو سبب استكبارِهم،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 108.

وعلى الوجهين ففيه إيماء إلى تلازم الكفر والاستكبار، كما أنَّهم لمّا كذَّبوا آياتِ الله، وردّوها، ولم يعملوا بها؛ كان كأنَّهم استكبروا عليها، وهو كما قال: ﴿لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ [مريم: 44]، ولا أحد يقصد قصد عبادة الشَّيطان، لكنَّهم لمّا عبدوا الأصنام بأمر الشَّيطان؛ فكأنَّهم عبدوه، كما يومئ اللَّفظ إلى أنَّ الاستكبار على رسل الله بمنزلة الاستكبار على آياتِه تعالى[1].

دلالةُ دخول السّين والتّاء في ﴿فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾:

السّين والتّاء في لفظ ﴿فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ للطَّلب، بمعنى تسبَّب عن تلاوة آياتنا عليكم - الَّتي من شأنِها إيراث الإيمان بها والخضوع لها، كما تقدَّم - أن طلبتم الكبر لأنفسكم[2]، ففيه تعجيبٌ من استكبارِهم عن الإيمان بآيات الله مع تلاوتِها عليهم، ويمكن أن يكون دخول السّين والتّاء للمبالغة في استكبارهم.

سببُ حذف متعلّق ﴿فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾:

أفـــاد حـــذفُ المتعلّق عموم تقديره

حُذِفَ متعلّق الفعل ﴿فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾؛ لإفادة عموم استكبارِهم المذموم، والمعنى: استكبرتم على آياتنا وعن الإيمان بها وعلى الرَّسول ﷺ الَّذي جاء بها، ويحتمل أن يكون حذف المتعلِّق؛ لإفادة أنَّ استكبارَهم صار سجيَّة فيهم بعد أن تُليت عليهم آيات الله، فلا يأتي منهم إلّا الاستكبار.

نوع الواو ودلالتها في ﴿وَكُنتُمۡ﴾:

الواو في قولِه: ﴿وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾؛ لعطف ما بعدها على ﴿فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾، فتدخل الجملة المعطوفة في حيِّز التَّرتيب والتَّعقيب، والتَّقدير: فكنتم قومًا مجرمين؛ ليفيد العطف جمعهم بين الاستكبار في القلب والإجرام في القول والفعل.

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 9/ 233.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 109.

دلالةُ ذكر ﴿وَكُنتُمْ﴾:

اعتيادُ الإجـرام وصفٌ أقبح من الإجرام نفسِه

عُبِّرَ بقولِه: ﴿وَكُنتُمْ﴾ دون أن يقال: فاستكبرتم، وأجرمتم، فيكون في نظم القرآن إطنابٌ في الكلام، وسببه هو إضافة معنى آخر سوى إجرامِهم، وهو أنَّكم مجرمون، وأنَّ الإجرامَ كان عادةً لكم[1]، فاعتيادُ الإجرام وصفٌ أقبح من الإجرام نفسِه.

سببُ إيثار ذكر ﴿قَوْمًا﴾:

أوثر ذِكر ﴿قَوْمًا﴾؛ للإيذانِ بأنَّ الاستكبار صار أصيلًا فيما بينهم، ومقوِّمًا من مقوِّماتِهم، وأنَّهم كانوا يجتمعون على الإجرام، ففيه من المبالغة في وصفِهم بالتَّكبُّر ما ليس في ما لو قيل: (وكنتم مجرمين).

توجيهُ إيثارِ فعل الإجرام بالذِّكر من بقيَّة الأفعال كالظُّلم:

قد يقال: ما سبب وصف الكافر بالإجرام دون غيرِه؟ وجوابه هو بيان أنَّهم مع كونِهم كفّارًا ما كانوا عدولًا في أنفسِهم، بل كانوا فسّاقًا في أعمالِهم وأقوالِهم، فوصفهم بوصف الكفر والفسق الشَّديد.

بديعُ الاحتباك في الآية:

في هذه الآية مع الَّتي قبلها احتباك لطيف؛ إذ ذكر مع المؤمنين أوَّلًا الإدخال في الرَّحمة؛ ليكون إشارةً إلى إدخال الكافرين في اللَّعنة ثانيًا، وذكر التَّوبيخ والتَّقريع والتَّبكيت للكافرين ثانيًا، وذلك بما دلَّ عليه الاستفهام المجازي للإشارةِ إلى تشريف المؤمنين أوَّلًا، وفائدة الاحتباك الإيجاز في اللَّفظ والدَّلالة على شرف المؤمنين ورفعتهم وعلى إذلالِ الكافرين وإهانتِهم[2].

(1) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 5/ 109.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 109.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"